Al-Adab Journal Issue. No (155) Supplement (December) 2025
E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

The Significance of Colors According to Ibn al-Rumi

Asst. Lect. Salma Rahim Shatti
Ministry of Education/ Third Rusafa Education Directorate
w.bsbs78428@gmail.com
Prof. Hassan Rahmani Rad (Ph.D.)
University of Religions and Sects - Faculty of International Languages and Cultures - Iran
rahmanirad.h@urd.ac.ir

Copyright (c) 2025 **Asst. Lect. Salma Rahim Shatti, Prof. Hassan Rahmani Rad(PhD)**

DOI: https://doi.org/10.31973/6hm4fx91

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Abstract:

Poetry is representation and depiction, before it is ornate language and adorned speech. Just as we marvel at the artist's precision when he highlights the light and shadows, the colors and shapes of an image, so we also marvel at the poet's alert senses when he depicts for us in his poetry and verses what the artist draws with his brush and colors. When the poet shows us the beauty of the eyes, the magic of the eyelids, the redness of the cheeks, and the prominence of the breasts, through representation and depiction. Both artists represent reality, except that the artist shapes it in form and colors, and the poet conveys it through feeling and emotion. It may be rare for the artist to combine the imagination of the poet and the poet's precision. For both of these aspects, each has risen to the throne of art. So which of the two men was Ibn al-Rumi? Ibn al-Rumi was an artist, a skilled painter, with a keen sense, deeply affected by nature, as if his nerves were electrical wires and his eyes were the lens of a camera, imprinting various scenes and images. It is as if his ear - a microphone - was entrusted with capturing the subtlest and most sublime sounds. Ibn al-Rumi was also a naturally gifted poet, with a vast imagination, fertile feelings, and a passionate passion. While Abu al-Ala' deserves to be called the poet of philosophers and the philosopher of poets, Ibn al-Rumi deserves to be called the poet of painters and the painter of poets. His poetry displays the precision of the painter and the multiplicity of his colors, the splendor of the poet's imagination, and the sublimity of his emotions. When he describes a singing girl, you are captivated by his poetry's passionate emotion and fertile imagination, followed by precise depiction and mastery of natural colors.

Keywords: color, imagination, nature, sounds .

Al-Adab Journal Issue. No (155) Supplement (December) 2025
E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

دلالة الألوان عند ابن الرومي

م.م. سليمة رحيم شاطي
وزارة التربية/ مديرية تربية الرصافة الثالثة

أ.د حسن رحماني راد
جامعة الاديان والمذاهب– كلية اللغات والثقافات الدولية – إيران

(مُلَخَّصُ البَحث)

الشعر تمثيل وتصوير، قبل أن يكون لفظا منمقا وكلاما مزوقاً، وكما تعجبنا دقة الراسم حينما يبرز الأضواء والظلال، والألوان والشكل، لصورة من الصور، فكذلك تعجبنا يقظة حواس الشاعر حين يصور لنا في منظومة وأبياته ما يرسمه الراسم بريشته وألوانه وحين يبدي لنا الشاعر حور العيون، وسحر الجفون، وحمرة الخدود، وبروز النهود، بتمثيل وتصوير لا بريشة وألوان، كلا الفنانين ممثل للحقيقة إلا أن الراسم يصوغها شكولاً وألوانا، والشاعر ينقلها شعورا ووجدانا قد يجتمع – وهذا نادر – للراسم خيال الشاعر، وللشاعر دقة الراسم، فان كل شيء من ذلك فقد استوى كل منهما على عرش الفن – فأي الرجلين كان ابن الرومي؟

كان ابن الرمي رساما فنانا، ومصورا ماهرا، مرهف الحواس شديد التأثر بالطبيعة كأن أعصابه أسلاك كهرباء وعينيه عدسة الكاميرا ينطبع عليها مختلف المناظر والصور. وكأن أذنه – ميكرفون – موكل بالتقاط دقيق الأصوات وجليلها. وكان ابن الرومي أيضا شاعرا مطبوعا واسع الخيال، خصب الشعور، مشبوب العاطفة. ولئن حق لأبي العلاء أن نسميه شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء. فمن حق ابن الرومي أن يكون شاعر المصورين ومصور الشعراء لأن في شعره دقة المصور وتعدد الوانه، وروعة خيال الشاعر وسمو عواطفه. وهو حين يصف قينة شادية، يستهويك من شعره عاطفة مشبوبة وخيال خصب، ثم تصوير دقيق وإتقان للألوان الطبيعية.

الكلمات المفتاحية: طبيعة، اللّون، الأصوات، الخيال.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين. أما بعد فقد قسمت بحثي على الشكل الآتي:

- حياة الشاعر
- أغراضه الشعرية
- الوصف
- وصف الطبيعة عند ابن الرومي

واشتملت كل فقرة على تقسيمات فرعية أخرى.

وقد استعملت في بحثي مصادر عدة، أبرزها ديوان الشاعر ابن الرومي، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، وتاريخ الأدب العربي.

المبحث الأول

حيــاة الشاعــر

اسمه :

هو علي بن العباس بن جريج أو جورجيوس أو جرجيس الرومي ، مولى عبيد الله بن جعفر بن المنصور ، ويكنى بأبي الحسن. ((للمرزباني :٢٨٩ وآخرون: ٦ /٨٤))

مولده ووفاته :

ولد ابن الرومي في الثاني من رجب الموافق يوم الأربعاء سنة ٢٢١ هـ ، وكان ذلك في بغداد، وتوفي في الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ٢٨٣ وقيل ٢٨٤ هـ ودفن بمقبرة باب البستان. (ابن خلكان : ٣ / ٣٦١)، وعن سبب وفاته تحدث المرزباني في معجم الشعراء، وذكر أنَّه مات مسموما.(للمرزباني :٢٨٩)

نسبه :

تكاد تجمع المصادر على كون الشاعر روميا ، ومما يؤكد ذلك ما ورد من في شعره وهو يفتخر بنسبه للروم الذي منه بيته الشهير :

وكَيفَ أُغضي على الدنيّة والفر س خؤولي والرومُ أعمامي.(ديوان ابن الرومي : ٢٠٠٢م : ٢٣٥٦).

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

نشأته وحياته :

ولد الشاعر في (بغداد) كما تقدم وبها نشأ وتعلق ، وكانت يومذاك منبر العلم وحاضرة الدنيا، التي قال عنها :

سقى الله بغداد من جنةٍ غدت للورى نزهة الأنفسِ
على أنَّها مُنية الموسرين ولكنها حسرة المفلسِ

(ديوان ابن الرومي : ٢٠٠٢م : ١٢٠٧).ج

وهنا يصور التفاوت الطبقي في بغداد آنذاك ، إذ هناك طبقة من ميسوري الحال الذين يعيشون رغد العيش في بغداد وطبقة من الفقراء المفلسين ، الذين يُعد هو منهم فقد ذكر في شعره أنَّه عانى ضيق العيش وفقر الحال ، وقد لا يجد ما يقتات عليه ، إلَّا بضع دراهم كانت تصله من صديق كل شهر، فيقول :

لي في درهمين في كل شهر من فئامٍ ما يطرد الحوجاء. (ديوان ابن الرومي : ٢٠٠٢م : ١٠٥)

وعلى الرغم من امتلاكه بيتا وضيعة في مدة من حياته إلا أنه خسرها جميعا ، فالضيعة التهمتها النيران كما يقول :

حدوث حدوث منها حريق تحيف ما جمعت من الثراء
أعانى ضيعة ما زلت منها بحمد الله قد ما في عناء.

(ديوان ابن الرومي : ٢٠٠٢م : ٥٦)

أما بيته فقد احتالت عليه وأخذتها منه جارته ، يقول عنها :

تهضمني أنثى وتغصب جهرة عقاري وفي هاتيك أعجب معجب.

(ديوان ابن الرومي : ٢٠٠٢م : ٢٥٢)

ولكنه على ماكان يعانيه من شقاء وحزن كان مؤمنا بأنَّ الدنيا متاع زائل لا تستحق منه الشقاء والألم ، ويقول في ذلك :

إنَّما هذه الدنيا غرور وشقاء للمعشر الأشقياء
نحن فيها ركب نؤم بلادا فكأن قد ألنا إلى الانتهاء
ما عسى نرتجى ونحن مع الأموات يحدى بنا أحث الحداء؟.

(ديوان ابن الرومي : ٢٠٠٢م : ١١٩)

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

تعليمه وثقافته :

إنَّ عصر ابن الرومي كان امتدادا لأزهى العصور في بلاد الإسلام قاطبة ، ففيه نشط التعليم ، وأخذ منه أولاد العامة والخاصة على أيدي معلمين في كل فرع من فروع المعرفة ، ولم يكد يكتمل القرن الثالث الهجري حتى كانت الأمة الإسلامية قد تحولت إلى أمة متقدمة تأخذ من كل علم بطرف وتساهم في إيجاد علوم جديدة ذات علاقة بالقرآن الكريم والشريعة وعلوم والطب والفلسفة . والذي ساعد الأمة العربية المسلمة على ذلك دخول كثير من الأمم المتقدمة في الإسلام وتأثيرها في الحياة العربية بما نقلت من علومها وحضارتها .. وكذلك دور المساجد .. والمكتبات .. وتشجيع الخلفاء والوزراء للعلم والمتعلمين .. وانتشار الكتابة وأسبابها ونتائجها .. والوراقين والمترجمين من السريان وغيرهم.(شوقي ضيف، ١٩٧٣، ١١٩ . ١٦٠)

وقد ظهرت نتائج هذه العوامل في جميع مجالات الحياة العباسية ولا سيما نظم الشعر ، إذ ظل الشعراء في هذا العصر يحافظون بكل قوة على الصياغة العربية بالمفردات والتراكيب وعلى قواعد الإعراب والتصريف ، وقد تزودوا من العربية الفصحى بخير زاد مكنهم من الوقوف على خصائصها ودقائقها الإعرابية ، وبذلك استطاعوا أن ينفوا عن أساليبهم كل الشوائب التي كان من المتوقع أن تسيل من العامية المتداولة فتطغى على الفصحى ، وهم لم ينفوها فحسب بل عملوا جادين على المحافظة على الصياغة العربية الأصلية وعلى الا يدخلها نبو أو انحراف أو نقص في الأداء .

أما أساليب الشعر فقد حافظت على رونقها وبهائها وزادها بهاءً تمثل الشعراء للصياغة العربية ومعرفتهم بأسرارها وحذقهم بخصائصها ، ومن ثم أخذوا يمزجون بين ثقافات العصر لاستخلاص ثقافة عربية لها طابعها المميز ، وبذلك انمحت الأبعاد والفوارق بين الفكر العربي وغيره .

وقد استطاع الشعراء في هذه المدة أن يستوعبوا التراث الثقافي جميعه وأن يتمثلوه ويتقنوه علما وفهما وتحليلا ، الأمر الذي جعل أذهانهم عميقة تتغلغل في حقائق المعاني وتنفذ إلى دواخلها وأغوارها نفوذا يتيح لهم أن ينفذوا إلى الخواطر المبتكرة.

ولا يكاد شاعر في هذا العصر إلا وأذعن للثقافات المتنوعة التي عاصرها ونهل منها غذاءً لقلبه وعقله ولا سيما ابن الرومي. (شوقي ضيف، ١٩٧٣، ١٨٧ . ١٩٥).

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

أغراض ابن الرومي الشعرية:

ذكر المعري في رسالة الغفران: أمَّا ابن الرومي فهو أحد من يقال أن أدبه كان أكثر من عقله.(العقاد، ١٩٣٨م ، ٧١) ومن سماته الَّتي عُرف بها، أغراضه الشعرية المتنوعة: من وصف و هجاء و رثاء و مدح و غزل وفخر وعتاب.

المبحث الثاني

الوصف:

الوصف من أبرز ما عرف به، فقد كان وصافاً بارزاً و مصوراً بارعا و قد دخل الوصف في جميع أغراضه الشعرية :

وصف المأكل: يشير عباس محمود العقاد إليه ويقول :كان ابن الرومي منهوماً في المأكل و لعل عيشه بين الثروة و الفقر ميل إلى وصف المأكل. (العقاد، ١٩٣٨م ، ٦٩)

وصف الطبيعة :

الطبيعة بالنسبة إليه وسيلة للهروب من الواقع المأساوي الَّذي عاشه في حياته. فإذا بها تصبح انعكاساً لذات الشاعر، فكأنهما ممتزجان قلباً و روحاً، شكلاً و مضموناً. (محمد كبريت ،٢٠٠١م ، ٤٥)

الوصف الكاريكاتوري الساخر:

هذا النوع من الوصف يُخَالف طبيعة الوصف النقلي أو الوجداني، يختص هذا النوع من الوصف بطبيعة خاصة تعني بالتشويه وإثارة الشعور بالمنكر. وقدكان لابن الرومي عصب خاص يحس به مظاهر النقص. ولعل شعوره الدائم بالعاهة و بجوانب الأمور، يَعبث به، ويضحك منه و يزدريه.(إيليا الحاوي ،١٩٨٧م، ٧٧)

الهجاء:

ابن الرومي لم يجعل غرض الهجاء مستقلاً عن أغراض أخرى،فلجأ إلى السخرية، أيضاً هو ينتقل من الهجاء إلى إبراز الوصف والشكوى والاستخفاف. لنيل غايته من غرض الهجاء. كما «لابن الرومي شهرة في الهجاء لاتتقدمها شهرة دعبل وبشار. و يفوقهما بما امتاز من دقة التصوير، فإن هجاؤه لا يقتصر على القذف والطعن والسخرية بل يتعداه إلى وصف أخلاق المهجو و تصوير أشكاله حتى يبرزه مُثلة شوهاء مضحكة. و بواعث الهجاء عند الشاعر كثيرة،فمنها أنَّه كان محروماً يستجدي فلا يعطى إلاَّ القليل، فيغضب ويهجو من يمنعون صلتهم عنه. ومنها أنَّه كان يحسد ذوي النعمة الَّذين يتمتعون بملاذ الحياة دونه فيهجوهم. ومنها أن الناس كانوا يعلمون ضيق أخلاقه،و غرابة أطواره، فيبعثون به و يضايقونه،ويعيبون شعره و ينتقدونه،فيثور ثائره و يهجوهم،ومنها إنَّه كان شديد الطيرة يتوهم

النحس في الأشخاص و الأسماء و العاهات و العيوب،فهجا كل شيء يتطير منه. ومنها إنَّه كان منهوماً لا يصبر عن الطعام، فإذا جاء رمضان تضايق من الصوم فهجاه». (بطرس البستاني ،١٩٩٧،٢٤٦)

الرثاء :

يستعمل الرثاء آلة للتكسب، كما قلت مراثيه ، و ليس له منها ما يستحق الذكر اِلاَّ ما قاله في أولاده وزوجته و أمه و أخيه. وما أحسنه ما قيل في رثاء بستان المغنية وكان يهواها، وفي أبي الحسين يحيى بن عمر الطالبي لأنَّه كان يتشيع للعلويين،فضلا عما قاله في رثائه وبكائه على البصرة لما دخلها الزنج سنة (٢٥٧ ه) وأحرقوها كان ابن الرومي في رثائه شديد التأثير في نفوس الحاضرين و القارئين أيضاً و كان قوي العاطفة و دقيق الإحساس في رثائه. (بطرس البستاني ،١٩٩٧،٢٤٦-٢٤٧)

المدح:

ابن الرومي لم يمدح من يكثر له العطاء، لأن العصر العباسي،لم يغرق الأموال على المتكسبين كما فعل العصر الَّذي سبقه، وكان المادح يرضى بالقليل الذي يعطى (الحر ،١٤١٢ه ، ٢٠٣). كما عاصر ابن الرومي تسعة من الخلفاء العباسيين. فقد مدح ألواناً من الناس في عصره،إذ مدح الوزراء و الكتاب والقادة والتجار وأصحاب الجاه و النفوذ. وإنَّ مدائحه للخلفاء كانت نادرة،ومدح المعتمد مدحاً مباشراً ومن ممدوحي ابن الرومي آل طاهر، آل وهب، آل نوبخت، وبنو مدبر.(عبد الغني حسن ،٢٠٠١م، ٤٩ . ٥٠)

ابن الرومي في مدحه كان يبتعد عن موضوع المدح ويملأ القصيدة بالحكمة والشكوى وذم الزمان ومدحه خالياً من الصدق و العاطفة. يقول عاصم جنيدي في كتاب كتبه حول ابن الرومي وحياته وفنه :كأنه في المدح يغرّد خارج سربه. و لهذه الأسباب لم يكسب بمدائحه ما يؤمل فيه، فكان يبدو عليه، وهو يمدحهم أنه يضمر لهم "فلسانه أطول من عقله" لأجل ذلك لم ينجح بمدائحه.(عاصم جنيدي ،١٩٣٣م، ٣٦ . ٣٧)

الغزل:

الغزل من الأغراض الرئيسية في شعره،ينتشر الغزل في مطاوي أهاجيه ومدائحه،ووصف الغانيات المتصل بالجواري و المطربات وحديثه عن صورة الغزل المشتت بين أحاسيسه الصادقة.(إيليا الحاوي،١٩٨٠م، ١٩٣ . ١٩٤)

العتاب والاعتذار:

إن من يلتفت النظر في الأحوال النفسية عند ابن الرومي يرى أنَّه أحاط نفسيته بالاضطراب والتطاير والوساوس وكُلَّ واحد قد أثر في إعتذارياته على المبالغة المعنوية التعليميةالمسرفة وقصد الإقناع والتثبت.. فكان لابُدَّ من مواجهته بعتابٍ رقيقٍ. لكن الحديث عن نفسية ابن الرومي يتصل باعتذاره، هو ذلك التناقض الَّذي يحمل على المدح ثم يحمله على هجائه و عتابه. (إيليا الحاوي،١٩٨٠م، ١٩٣ . ١٩٤)

الوصف:

الوصف في اللغة هو:" وصَف الشيءَ له وعليه وصْفاً وصِفة: حَلاَّها"(ابن منظور،١٤١٤م، مادة وصف) والوصف جزء من منطق الإنسان،لأنَّ النّفس محتاجة من أصل الفطرة الى ما يكشف لها من الموجودات ويكشف للموجودات منها، ولايكون ذلك الاّ بتمثيل الحقيقة وتأديتها إلى التصوّر في الطريق السمع والبصر والفؤاد " (صادق الرافعي،١٤٤٠هـ، ١١٩). وقد تعرض ابن الرشيق في أثناء حديثه عن الوصف الذي قال عنه بأن أكثر الشعر يرجع إليه إلى تفاضل الناس في الوصف وإلى أهم موصوفاته أوموضوعاته على عهد المولدين فقال: " الأولى بنا في هذا الوقت صفات الخمر والقيان وما مشاكلها وما كان مناسبا لهما كالكؤوس والقنان والأباريق ،وباقات الزهر، إلى ما لابد منه من صفات الخدود والقدود و... ، ثم صفات الرياض والبرك والقصور وما شاكل المولدين ، فإن ارتفعت البضاعة ، فصفات الجيوش وما يتصل بها من ذكر الخيل والسيوف والرماح والدروع والعصي والنبل ، إلى نحوذلك من ذكر الطبول والبنود وليس يتسع بنا هذا الموضوع لإستقصاء ما في النفس من هذه الأوصاف " (ابن الرشيق ،١٩٨١م، ٢٩٥-٢٩٦).يشير أحمد الهاشمي في كتابه عن الوصف ،"الوصف،هو شرح حال الشيء وهيئته على هو عليه في الواقع لإحضاره في ذهن السامع كأنّه يراه أو يشعربه". (أحمد الهاشمي، ١٩٦٩م ، ٣٤٣) وأيضاً يقول: "الوصف، عبارة من بيان الأمر باستيعاب أحواله وضروب نعوته الممثلة له وأصوله ثلاثة: الأول:أن يكون الوصف حقيقةً بالموصوف مفرزاً له عمّا سواه،الثاني: أن يكون ذا طلاوة ورونق. الثالث: أن لايخرج فيه إلى حدود المبالغة والإسهاب ويكتفي بما كان مناسباً للحال وأنواعه كثيرة ولكنّها ترجع إلى قسمين وهما وصف الأشياء ووصف الأشخاص أمّا الأشياء الحريّة بالوصف فهي كالأمكنة والحوادث ومناظر الطبيعة. أمّا وصف الأشخاص فيكون بوصف الصّورة أوبوصفهما معاً." (أحمد الهاشمي، ١٩٦٩م ، ٢٦٥)

هناك تعريف آخر عن أنواع الوصف ،"والوصف في كلّ شيء نوعان : خيالي وحسيّ . فالوصف الخيالي يعتمد التشبيه والإستعارة ويحاول أن يستحضر الموصوف من الذاكرة . أما الوصف الحسي فهوتصوير للموصوف .ولاريب في أنّ الوصف الحسي أبلغ وأجود وأندر وأكثر صعوبة من الوصف الخيالي".(عمر فروخ ،١٩٨١م، ٨١)

وقد عُرف الوصف منذ عُرف الشعر العربي ، وفي رأي صاحب العمدة نرى أن "الشعر إلا أقله راجعٌ إلى باب الوصف" (القيرواني،١٩٨١م، ٢٩٥) والشاعر الذي يُظهر مقدرة فنية في نقل صور موصوفه وتجليتها وتوضيحها للسَّامع يكون ذلك دليلاًعلى تفوّقه وبراعته، ومدى دقّته ومهارته في فنّ الوصف "فأحسنُ الوصف ما نُعت الشيءُ حتى تكاد تُمثله عينًا للسامع" (القيرواني،١٩٨١م، ٢٩٤)كما قال حنّا الفاخوري:" والوصف هوذكر أقسام الشي ء وشرح هيئته لإحضاره في ذهن السامع " (حنا الفاخوري ،١٩٨٧م، ٤١)

فالوصف في المعجم العربي هوالتجسيد والابراز والإظهار وفي التراث النقدي العربي يقول قدامة بن جعفر في الوصف: "إنما هوذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات" (قدامة ، ١١٨– ١١٩)

إن كل الأجناس الأدبية كالقصة والرواية والشعرلم تستغن عن الوصف.فالأدب العربي منذ القديم عرف الوصف، وشعراء الجاهلية مارسوا الوصف في نظمهم لقصائدهم سواء وصف الحبيبة أو وصف الأطلال ووصف المعارك و... إلخ.

قال ابن رشيق : أبلغ الوصف ما قلب السّمع بصرا والشعراء يتفاوتون في مقدار براعتهم في الوصف ، فهناك من يستطيع إجادة الوصف غير أنَّه يشتهر بوصف شيء بعينه، وذلك لعلمه به وشدة اتصاله منه . يقول الرافعي في هذا المنطلق:"وقد يُشارك في أوصافٍ كثيرة لكنه ينفرد بالشهرة في بعضها ، من جهة العلم لا من جهة الصناعة، فكلما كان أعلم بأجزاء الموصوف وحالاته، وأقدر على استقصاء هذا العلم في شعر، إنه أبلغ في الوصف وأولى بالتقديم. (الرافعي، ١٩٤٠م،١٢١–١٢٢)

"يقسم الأدباء الوصف الى قسمين :وصف الظواهر الطبيعية التي هي من خلق الله القادر المبدع ، ووصف الآثار الإنسانية التي هي من صنع الإنسان الحاذق المخترع ،ومن إخراج اليد الصّناع ، ثمّ هم يتناولون الظواهر الطبيعية فلا يجدونها متماثلة في جميع الخصائص، فيعقدون بينها موازنة تنتهي إلى تقسيمها قسمين : الظواهر المتحرّكة، وهي كل ما يجري فيه ماء الحياة وينبض بالحركة: من حيوان أليف كالناقة والفرس، والكلب والمعز والغنم، أووحش مفترس كالأسد والذئب والحشرات والهوام.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

والظواهر المتحركة إمّا خارجية كهذا الّذي قدمنا أمثلة له، ويسميه الغربيون الوصف الموضوعي، وإمّا داخليّة، فهي تلك التي تمثّل أحوال قائلها، فتصف خواطر نفسه، أوخفقات قلبه، تقرّح كبده، أوتحرق فؤاده، أوهجسات وجدانه، أوهمسات شعوره، أولمحات أفكاره، أوومضات إنسانه، إلى آخرما يصوره من تلك التموجات النفسية، والإهتزازات العاطفيّة، وهو الوصف الذاتي . والظواهر الساكنة، وتنصرف إلى كلّ ما تشتمل السموات والأرض من أجرام وكواكب ، وجبال وصحاري، ووهاد ونجاد، وبحار وأنهار، وما ينشأ عن هذه وتلك من مد وجذر، وبرق ورعد، وغيث ومطر، وزلازل وبراكين، وزعازع وأعاصير ".(قناوي، ص٥٤)

إن الوصف أثر الطبيعة في النفس ، وتصوير فعل الظواهر في الخاطر ، فلابدّ أن يكون بلغة أرقى، وأسلوب أكثر اتساقا ، وأعظم إنسجاما من سواه ، وهوالشعر" (قناوي، ص٤٣)

المبحث الثالث

وصف الطبيعة عند ابن الرومي

أجاد ابن الرومي في الفنون الشعرية المعروفة والشائعة في الأدب العربي ، في القرن الثاني للهجرة ، كالمديح والرثاء والغزل والهجاء وغير ذلك من الفنون ، لكنه تميز أكثر وظهرت براعته في الوصف أكثر من قدرته وبراعته في الفنون الأخرى ، فإنَّ (الوصف مزية ابن الرومي الأولى به عالج مختلف أبوابه الشعرية وبه عبر عن أحاسيسه الداخلية). (جورج غريب ،١٩٣٨م، ٦٤) لذلك صار من أشهر الوصافين في الأدب العربي وأكثرهم براعة ، ولاسيما في تصويره الطبيعة واندماجه بها ، وربما كان هذا الاندماج نتيجة فشله في المجتمع والنكبات التي توالت عليه في الحياة ، كما لو كان قد هرب من واقعه ولجأ إلى الطبيعة لينسى بين أكنافها ألمه.(جورج غريب ،١٩٣٨م، ٦٨. نوفل ،١٩٤٥م، ٨٤) وقد امتزجت نفسية الشاعر بالطبيعة ولقى بين أحضانها كل ما حرمته الحياة ، إنَّ عالم الطبيعة في شعره هو عالم الإنسان نفسه ، لذلك كان يضفي عليه حالاته الداخلية ويحمله ما يزخر به وجدانه من انفعالات. وينقسم وصف الطبيعة في شعر ابن الرومي على قسمين :

أولا: وصف الطبيعة الجامدة التي نقصد بها الطبيعة الثابتة غير المتحركة التي لا حياة فيها كوصف (الأطلال، والجداول، والأفلاك والكواكب، والبر والبحر، والرياض والزهور) .

ثانيا : وصف الطبيعة المتحركة التي نقصد بها الطبيعة الحية كوصف (الطيور، والحشرات، والحيوانات الأليفة والوحشية).

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

يعتمد الشاعر في أوصافه لها على دقة التعبير وصدق العاطفة فتقترن الحقيقة بالوصف ، والتجسيد والصدق والإظهار فهو يؤمن بأنَّ (أغلب الوصف ما قلب السمع بصرا). (القيرواني ، ١٩٨١م ، ١٠٦١)

وصف الأطلال :

وصف الأطلال من الموضوعات التقليدية في الشعر العباسي ، والتي لم يدخلها التجديد كثيرا بل كانت في معظمها تكرارا للعناصر التي وجدت لدى السابقين ، لذا باتت تقليدا لمطالع قصائد الشعراء في هذا العصر ، الأمر الذي كاد أن يقضي على الروح الوجدانية فيها وذلك لتغير البيئة ، فقد دخل حياتهم من التطور الحضاري ما جعلهم يستبدلون الخيمة بالقصر والأطلال بالرياض ، فبَعُدَ أثرها عنهم وبدت بعض تلك المطالع الطللية تقليدا لا تُنبئ عن موقف ذاتي للشاعر أو أنها فاترة العاطفة ضعيفة الوصف .

وأغلب الظن أنَّ ابن الرومي في مقدماته الطللية نحا نحو تقليد القدامى في افتتاح القليل جدا من قصائده ، إذ ذكر الأطلال ليس قليلا فحسب بل يعد من النادر في شعره ، قد تطول بعض أبياتها ، وقد لا تتعدى الخمسة في غيرها ، وصرح بأنَّه لا يرغب الوقوف على الأطلال ولا يُعنى بمساءلتها أو لومها ، كما في قوله :

إنَّ مـــن لامَ جـــاهلا لَطَبيـــبٌ يتعـــاطى عـــلاج داءٍ عيـــاءِ
لســـتُ ممـــن يظـــلُّ يربَـــع بـــاللو مِ علـــى منـــزلٍ خـــلاءٍ قَـــواءِ
ج

(ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ٧١)

ولكن على الرغم مما قاله من استنكار وانصراف عن الأطلال إلا أننا لاحظنا عند حديثه عنها ، لا يبعد أن يصور ما ألم به من ألم نتيجة فراق الأحبة من أب وأم وزوجة وأبناء وأخ ، فكأن حياته قد استحالت حطاما بعد رحيلهم عنه ، فهي ليست بأحسن من تلك الأطلال المقفرة التي أصبحت مرتعا للوحش والظباء والوحدة ، فهو في حديثه عن الأطلال لا يخرج عن حديثه عن نفسه ، وعندما يتحدث عن تبدل حالها ،فهو لابد أن يقصد تبدل حاله وما آل إليه عند رحيل أحبته وتنكر الزمان له ، وقد تعد الصورة التي بثها في أبياته الطللية ، من العناصر المتشابكة المتداخلة التي تعطينا صورة عن نفسيته التي حلق بها بعيدا بوعي أو بدون وعي إلى الأطلال ، حيث تشابه الأحاسيس والمشاعر والحال التي آنس فيها رفيقا على درب الشقاء والحرمان من الأهل والأحبة . وإذا جئنا إلى أبياته الشعرية في وصف الأطلال ، نجده لا يذكر موضع الطلل إلا في بيتين من شعره وهو هنا يخالف سنن الشعراء القدامى ، والبيتان هما :

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

هل تعرفُ الدار بذي الأثاب والمُنحنَى والسفح من كَبكَبِ (ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ٢٩٢)

وقولــه:

أدارَ العامريــة بالوحيــدِ سقالك مُجَلجَلٌ هزجُ الرعودِ (ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ٩٠٩)

وقد تظهر بعض السمات المميزة لشخصية (ابن الرومي) الفنية من خلال وصفه للأطلال كما في قوله

ملابسٌ ليست لها بهجةٌ حِيكت من البطحاء والتَّيربِ (ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ٢٩٢)

ففي هذا البيت أضفى صورة الثياب البالية على الأطلال ، وهذه الثياب هي ما قد يكون شاهده في بعض البيئات الفقيرة في زمانه ، فأوحت إليه بحال الأطلال الموحشة التي لاحت له بهئية مزرية نتيجة ما ألم بها من تغيير ، وهذه الصورة تُعد من التجديد في التعبير أضفاها الشاعر على الأطلال . ويرسم لنا صورة تشخيصية واصفا الأطلال في إحدى مقطعاته فيقول : (ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ١٩٣٥)

صاول منها الدهر غير صائل

كالثائر الطالب بالطوائــل

فلم يرع عن دمن ذلائــل

خواشعٌ أطلالها ، خوامــل

فقد أعطى في هذه الأبيات صورتين ، الأولى للدهر حيث شبهه بالثائر الذي يطلب ثأره دون رحمة ، والثانية للأطلال ، إذ شبهها بالنساء الضعيفات اللاتي لا قدرة لهن على دفع الأذى عن أنفسهن بل هن مستسلمات خاضعات .

وصف الصحراء والبر:

لم نجد في ديوان ابن الرومي وصفا للصحراء إلا بأبيات معدودة جاءت في سياق قصيدة وجهها مادحا لـ(عبيد الله بن عبد الله)، وهو في وصفه لها لم ينزع عن شخصيته الخاصة التي تتناول الموصوف في دقائقه أو تسمو به من الواقع المحسوس لتضفي عليه واقعا آخر ينتزعه من داخله ، كما أنّه لم يقصد من وراء وصفه لهذه الصحراء الإلمام بها كموضوع مستقل ، بل أبياته الخمسة المعدودة جاءت تتمة لسياق القصيدة المدحية، وهو بهذا يكون مقلدا للشعراء القدامى، فقد ساروا في قصائدهم المدحية على طرائق موروثة

معروفة من الوقوف على الأطلال ، ثم وصف الراحلة ، ثم وصف الصحراء وصولا إلى الغرض الأصلي للقصيدة .

كذلك سار على سنن الأقدمين في تصويره للصحراء ، فخلع عليها صفة الاتساع والجفاف والخلاء ووحشة الليل وما فيها من ذئاب وثعالب، وإن كانت له مزية في هذا الوصف ، فهو يقول :

يخالُ بها من رَنِّ هذي وهذه إذا اختلف الصوتان عُرسٌ ومأتَمُ (ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ٢٠٩٦)

فقد حلق بعيدا بخياله عن واقع هذه الأصوات الصادرة عن الذئب ، فرأى في اختلاطها عجبا، كأنه يستمع إلى أصوات صادرة من محفل عرس بما في أصواته من أُنس وحبور ، ومحفل مأتم بما فيه من أنين وألم وتفجع .

أما وصفه للبر : فقد ورد كذلك ضمن قصيدة للمدح وهو يعتذر لممدوحه من الذهاب إليه بأهوال تلك الرحلة ، ليبين له سبب قعوده عن السفر وعدم تلبيته الدعوة ، بصور متلاحقة طريفة ووصف لا يخلو من الدقة والتميز والعزف على أوتار الإبداع إذ يقول : (ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ٢٠٥٦)

ولم أنسَ ما لاقيتُ أيامَ صحوهِ من الصّر فيه والثلوج الأشاهب
وما زال ضاحي البَّر يضربُ أهلَهُ بسوطي عذابٍ جامدٍ بعد ذائب
فإن فاته قَطرٌ وثلجٌ فإنه رَهين بسافٍ تارةٍ أو بحاصبِ
فذاك بلاءُ البرِ عندي شاتيا وكم لي من صيفٍ به ذي مثالب
ألا رُبَ نارٍ بالفضاءِ اصطليتُها من الضِحِ يودي لَفحُها بالحواجب
إذا ظلتِ البيداءُ تطفو إكامُها وترسُبُ في غَمرٍ من الآلِ ناضبِ
ج

يصور تلك الرحلة التي تبدو في الشتاء عند بدايتها وقد لاقى بها صنوف الأذى من الثلوج ولسعات برد البر ، كما عانى أهوال الرياح التي أثارت الرمال وآذت عينه ، ثم ينقل لنا حال الرحلة عند مجيء الصيف اللاهب وحرارته اللافحة ، فهو فيما يبدو يكره التنقل في البر لأنه يخشى الأهوال التي تعترضه في الطريق .

وصف البحر والماء والجدول :

غالبا من تقترن صورة البحر في أذهان الشعراء بالخوف والأهوال ، وهذا ما ذكره ابن الرومي في مرات كثيرة في ديوانه لكنه لم يفرد قصيدة أو مقطوعة مستقلة لوصف البحر ،

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

إنّما جاء ذلك مبثوثا في بعض قصائده ، إذ كان يصور لنا أهوال البحر ويؤكد خوفه منه فيقول في أبيات له :

وأمَّـــا بـــلاءُ البحـــر عنـــدي فإنَّـــهُ طَـوَاني علـى روعٍ مـع الـروحِ واقـب
ولـــو ثـــاب عقلـــي لـــم أدع ذكـــر بعضـهِ ولكنـه مـن هولـه غيـرُ ثائـب

تُرى ما الذي شاهده من البلاء والأهوال في ذلك البحر حتى يطويه (على روع مع الروح واقب) ، وهل بلغ من السوء درجة أذهلت عقله حتى جعلته ينسى بعض تلك المشاهد المخيفة التي رآها ؟! لنستمع له وهو يحدثنا عن خوفه من البحر وركوبه ، وحذره من خوض غماره ، فضلا عن خوفه من الماء عامة ، إذ وصف لنا خوفه من البحر ومن الماء بشكل عام حتى ذلك الماء الذي يوضع في الكوز للشرب بأبيات واحدة ، كما في قولـه :

ولِـم لا ولـو أُلقيـتُ فيـه وصـخرةٍ لوافيـــتُ منـــه القعـــر أولَ راســـبِ
ولـــم أتعلـــم قـــط مـــن ذي ســـباحةٍ سـوى الغـوص ، والمضـعوف غيـرُ مغالـبِ
فأيســـر إشـــفاقي مـــن المـــاء أننـــي أمـــر بـــه فـــي الكـــوز مـــرَّ المجانـــبِ
وأخشـى الـردى منـه علـى كـل شـارب فكيـــف بأمنيـــه علـــى نفـــس راكـــب

والواضح في هذه الأبيات شدة المبالغة فكيف يعقد هذه المقارنة بين ماء الكوز وماء البحر وأي خوف يبعثه ماء الكوز في النفس؟ لكن ما يشفع للشاعر عندنا أننا نرجح أنه قال هذه الأبيات للدعابة والفكاهة ، التي تستدعيها الصنعة الفنية وخياله الخصب حتى لنجده يصف اهتزاز ماء البحر بتأثير الريح وانعكاس أشعة الشمس على أمواجه بصورة الفرسان المتسلحين بالسيوف يريدون الانقضاض عليه :

أظـــلّ إذا هزتـــه ريـــحٌ ولألأت لـه الشـمس أمواجـا طـوالَ الغـواربِ
كـــأني أرى فـــيهن فُرســـانَ بُهمـــةٍ يليحـون نحـوي بالسـيوف القواضـب

وله مقطوعة صغيرة في وصف الجدول وأنها على صغرها تحمل من الصور الفنية الجميلة على الرغم من أن وصفه فيها يقترب من النقل التقريري، لكن غلب عليه التشبيه في كل صوره مما خلع عليه صورا رائعة ، فهو يصفه بقوله : (ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ٩٨٩)

ثـــم جَلَســـنا مجلـــسَ المحبـــور علـــى حِفـــافي جَـــدولٍ مَســـجور
أبـــيضَ مثـــل المُهـــرَقِ المنشـــور أو مثـــل مـــتن المُنصُـــل المشـــهور
ينســـابُ مِثـــلَ الحَّيـــة المـــذعور بـــين ســـماطَي شـــجرٍ مَســـطُور

يصف في هذه الأبيات جدولا صغيرا ممتلئا بالماء العذب .. أبيض الماء لا كدر فيه فهو كالصحيفة البيضاء المصقولة الناعمة وهو في تلألؤ مائه وصفائه كصفاء السيف

المصقول ، ويصف حركته وهو يمر بين الأشجار مشبها مروره بمرور الأفعى السريعة الخائفة وبليونتها وخفتها .

وصف الأفلاك والكواكب :

جرى الشاعر على طريقة الأقدمين فوصف النجوم والأفلاك والكواكب ومن قطعة له يصف فيها الثريا ، بدت شخصيته الفنية من خلالها يقول : (ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ١٧١٥)

كـــأن الثريـــا إذ تجمَّـــع شـــملها ريـــاض ربيـــع فصِـــلت بشـــقيقِ
وقـــد لمعـــت حتـــى كـــأن بريقهـــا قلائـــــد درٍ فُصّـــــلت بعقيـــــقِ

ج

هنا يشبه ابن الرومي منظر الثريا في السماء، بالورود المنتشرة في الرياض وقد فصل بينها بشقائق النعمان الحمراء ويشبه لمعان أنجمها بلمعان بعقد من الدر الأبيض الذي تفصل حباته بفصوص من العقيق الأحمر فزادت من بهائه ورونقه .

تلك هي قدرة ابن الرومي الفذة وشخصيته الفنية الرائعة التي تلتقط الصور وتؤلف بينها في لمحات بديعة ، فقد استطاع عن طريق تلك الصورة البصرية أن ينقل لون الثريا البيضاء فهي كالدر في لونه وصفائه ، وفي هيئتها كشكل الزهور الربيعية المجتمعة ... وهنا نرى شخصية الشاعر العباسية بادية بوضوح ، فما هذه التشبيهات إلا من تلك الحضارة التي تمثلها شعراء هذا العصر .

وللشاعر مقطوعة صغيرة يصف فيها القمر وقد أضفى عليه تشبيها رائعا حيث شبهه بالفتاة الخجولة الحيية اتخذت من كمها الأزرق لثاما لتغطي وجهها عند النظر لألفها ، فيقول : (ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ١٧١٥)

يـــامن بغرتـــه الهـــلال أمـــا تـــرى قمـــر الســـماء وقـــد بـــدا فـــي المشـــرقِ
كخريـــدةٍ نظـــرت إلـــى إلـــفٍ لهـــا فتلثَّمـــــت خجـــــلا بكـــــم أزرقِ

فقد أضفى صورة طريفة للقمر وهو في نصف استدارته ، فما بدا من نصف وجه الحسناء الملثمة إلا صورة القمر وما ذاك الكم الأزرق إلا صورة لليل الذي حجب جزءاً منه وزاده جمالا ورونقا.

وصف الرياض والنبات والأزهار :

الرياض هي معشوقة ابن الرومي التي انحلت بداخله فصارت معه جسدا يتحرك ليغني ويسمع الشدو الجميل ... نظر إلى طبيعة عصره التي زخرت بمناظر الرياض ، فأخذ ينهل من معينها .

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

والرياض من ألصق موصوفاته به ، لأنه يناجي صورها التي يرى فيها حياته التي تمنى الوصول إليها وفي رياضه يجد متنفسه ليبوح بمكنون تلك النفس التي عانت من الوحدة والتوحش وفيها يزيح عن كاهله متاعب دنياه .

يصور ابن الرومي منظر روضة نضرة مزدانة بالزهر والريحان ، تعيد الشباب لنفسه عند النظر لها وتبعث في روحه الارتياح ، يشبهها بالفتاة الحلوة المختالة بجمالها إذ يقول:(ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ٦٨٣)

وَريـــاض تخايـــلُ الأرضُ فيهـــا خُـــيلاءِ الفتـــاةِ فـــي الأبـــرادِ
ذات وشـــي تناسَـــجتَهُ ســـوار لَبقـــاتٌ بحوكِـــه وغـــوادِ

ومن تلك الصور التي انتزعها من معشوقته الطبيعة وقدم فيها أروع الرسوم وأحلى الصور أبياته التي يقول فيها: (ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ٢٤٦٠)

حَيَّتـك عنَّـا شـمالٌ طـاف طائفُهـا بجنـة فَجَّـرَتْ رَوحـاً ورَيْحانـا
هَبَّـتْ سُـحَيْراً فنـاجى الغُصـنُ صـاحبَه مُوَسوسـاً وتنـادَى الطيـرُ إعلانـا
وُرْقٌ تَغَنَّـى علـى خُضْـرٍ مُهَدَّلـةٍ تَسْـمو بهـا وتشـمُّ الأرضَ أحيانـا
تخـالُ طائرَهـا نشـوانَ مـن طـربٍ والغُصـنَ مِـن هَـزِّهِ عِطْفَيْـهِ نَشـوانا

بعد أن منح الروضة روح عذبة محلاة ، أنزل الغصن منزلة الطير ، والطير منزلة الإنسان في النشوة وها هو ينقل أجزاء تلك الروضة ويجمعها بصورة واحدة فالرياح شمالية ويجعل من الروضة جنة فيها الروح والريحان واشترك بها الغصن والطير في الغناء ، وصور الحمامة الورقاء وهي تغني على الأغصان المهدلة ترتفع بها بتأثير الرياح فتسمو تارة وتنخفض وتنزل إلى الأرض ليعبر عن ذلك بـ(تشم الأرض) ومابين وسوسة الغصن وطرب الطير تتجسد نشوة الفرح .

وصف الطيور:

نظر ابن الرومي إلى الطيور تارة بنفسه وتارة بعينه فوصفها وصفا حسيا ماديا ووصفا وجدانيا.(العقاد، ١٩٣١م، ١٩٨)

وصف ابن الرومي بعض الطيور المائية والعقاب والظليم وصفا حسيا في قصيدة طردية تذكرنا بقصيدة إمرئ القيس في وصفه الصيد . صرح ابن الرومي فيها أنه ذهب مع رفاقه للصيد بالسهام صباحا فقال : (ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ٣٧٥)

وقـد أغتـدي للطيـر والطيـر هجـع ولـو أوجسـت مغـداي مـا بـتن هجعـا
بخلـين تمـا بـي ثلاثـة أخـوة جسـومهم شـتى وأرواحهـم معـا

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

كما يصور مشهد الطيور المائية على سواحل الأنهار معبرا عنها ببنات الماء ، فيشبه مشهدها فوق الماء عند ارتفاع الشمس في الضحى بالبسط الملونة المزركشة التي تفرش في صالات ملوك الفرس أثناء حفلاتهم الخاصة ، فيقول:(ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ٣٧٦)

كـأنَّ بنـات المـاءِ فـي صـرحِ متنـهِ إذا مـا عـلا روق الضـحى فترفعـا

زرابـي كسـرى بثهـا فـي صِـحانه ليحضـر وفـدا أو ليجمـع مجمعـا

يتابع قوله في وصف هذا المشهد ويصوره من جهة امتزاج ألوان الطيور بضوء الشمس فيقول: (ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ٣٧٦)

تُريكَ ربيعا في خريفٍ وروضةٍ على لجةٍ بدعا من الأمر مبدعا

وصف العقاب :

صور ابن الرومي في قصيدة رثى بها أمه بعض الكائنات القوية تصويرا عينيا ، يقصد من خلالها بيان غلبة الدهر على هذه المخلوقات كلها في الدنيا (النويري ، ١٩٣٦م ،٤٠٥)، فالاستمداد العقلي هذا يتناول الطيور القوية والجارحة مثل العقاب والظليم . كما يصور في الأبيات التالية أنثى العقاب ويصفها من حيث المنظر والصفات الذاتية فيصف شعرها بالإسوداد والشعوثة كما يصفها بالكبر والأنفة :

ولا لِقوةٌ شعواءُ تلحِم فَرخها خدارية شماءُ في شاهق أشم .(ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ٢٨٧)

ثم يصف قدرتها على الصيد وعدم فقرها بسبب وجود اللحوم المختلفة لها فيقول :

بكورٌ على الأقناصِ غير مخلّةٍ كأن لها في كل شارقةٍ وحم (ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ٢٨٧)

بعد ذلك يشير إلى استطاعتها على الصيد في اشتداد البرد حين لم يستطع بقية الحيوانات الخروج من مساكنها فيقول :

تبيتُ إذا ما أحجر القر غيرها ترقرِق رفض الطَّل في ريشها الأحم.(ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ٣٠٧)

وصف الظليم :

الطائر الآخر الذي وصفه ابن الرومي في شعره هو الظليم ، وهو من الطيور القوية السريعة في الصحراء ، يصور أولا اكتناز لحمه ورأسه الأصلع فيقول :

ولا نقنِق خاظى البضيع صمحمح من الآكلات النار تأتج في الفحم (ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ٣٠٨)

ثم يصور قدرته على أكل أي شيء حتى الأحجار الصلبة واستطاعته هضمها فيشبه بطنه بالزق الذي تذوب فيه الأشياء الجامدة قائلا :

يصـــوم فـــلا يحـــوي ويمـــلأ بطنـــه بمـــا شـــاءَ مـــن زادٍ ولا يرهـــب البشـــم
ويُبلـــــغُ أفـــــلاذَ الحديـــــد جوامـــــدا فيسـبكها فـي قعـرِ كيـر قـد احتـدمِ.

(ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ٣٠٨)

وصف الحمائم :

تميز بوصفه الوجداني للحمائم ، إذ يعطي بهذا النوع من الوصف للطيور الحياة والصفات البشرية ويذهب بعالم الإنسان إلى عالم الحيوان الذي تحكم فيه الغريزة بدل التفكير فالطيور عنده تعشق وتظهر غرامها جهرةً : (سليمان ، ١٩٩٥م ،٢٨٤)

غـرد الطيـر فـي الريـاض وناحـا وشـكا العشـق والغـرام وباحـا (ابـن الرومـي ، ٢٠٠٢م، ٧٠٢) وفي هذا الحال تنقسم الطيور على قسمين ، قسم مع قرينه وفرح به وقسم آخر مفارق لقرينه وحزين عليـه :

تتـــداعى بهـــا حمـــائم شـــتى كـــالبواكي وكالقيـــان الشـــوادي
مـــن مثـــان ممتعـــات قـــرانٍ وفـــراد مفجعـــات وحـــادِ
تتغنـــى القـــران مـــنهن فـــي الأيـــكِ وتبكـــي الفـــراد شـــجو الفـــرادِ جج

(ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ٧٠٢)

وهذه الحمائم الفراد (ليست إلا نفسه المكبوتة والشاعر تجاوز عن هذا المظهر العادي المتشابه وأناط به واقعا جديدا من واقع الإنسان أو بالأحرى من واقعه الخاص ، فجعل الفريدة من الحمائم تبكي انفرادها كما يبكي هو وحشته وجعل الحمائم القران تطرب وتنعم بالمتعة التي يتحسر عليها بانفراده). (إيليا الحاوي، ١٩٨٧م ،٢٠٧)

وصف الأسد :

كثيرا ما يأتي وصف الأسد في شعر ابن الرومي(حينما يفخر بأجداده ونفسه ويدعي فيها أن الأسد أقل صولة وشجاعة منهم بعد أن وصف منظر الأسد وصولته وشجاعتـه) . (شلق، ١٩٦٠م، ١٣٩)

فمـــا أســـد جهـــم المحيـــا شـــتيمه قصاقصـــةٌ ورد الســـبال غضـــنفر
مســـمى بأســـماء فمـــنهن ضـــيغم ومـــنهن ضـــرغام ومـــنهن قســـور

(ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ٥٧٦)

ويشبه براثن الأسد والدماء تسيل عليها ، بنصف الهلال والدماء بالخضاب :

وحُجـــن كأنصـــاف الأهلـــة لاينـــي بهـن خضـاب مـن دم الجـوف أحمـرُ
لـــه ذَمـــرات حـــين يوعـــد قرنـــه تكـــاد لـــه صُـــم السِـــلام تَفطَّـــر

(ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ٥٧٦)

وهو هنا يصف صوت الأسد وزئيره بشيء من المبالغة حين ينسب له انشقاق الأحجار الصلبة .

وصف السمك :

لشدة حب ابن الرومي للسمك نجده قد وصفه كثيرا في شعره ، ويبدو أنه كان من مكثري أكل السمك إذ يقول :

فليصطد الصياد حاجتنا ... تصطلد مودتنا بلا شرك
والهازبا هدية ذهبت ... مُذ جاوزت أسكفة الحنك
وافى فألقيناه في معدٍ ... لم نلفه للنسل في برك.

(ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ٧٤٠)

ويكني عن الأسماك ببنات دجلة حين يطلب من ممدوحه في إحدى المقطوعات أن يرسل له السمك قائلا:

وبناتُ دجلةَ في فنائكم ... مأسورة في كل معترك
تفرى بأمثالِ الدروعِ وأحيانا ... بمثلِ نوافذ الشكك
بيض كأمثال السبائك بل ... مشحونة بالشحم كالكعك

ج

(ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، ٧٤٠)

ويصف جلود هذه الأسماك بالدروع أما شدة بياض لحمها فيشبهه بالفضة .

إذن في هذه الأمثلة رأينا كيف كان ابن الرومي يحيا مع الطبيعة ، مثلما يحيا مع الطير المغرد ساعة الغروب التي يمتزج فيه الحنان بالشوق وهو ينظم ذلك كله في أنشودة واحدة ، لم تدع مزيدا لفن اللون والحركة ولا مزيدا لوحي الخيال والسليقة.(غريب، ١٩٣٨م ، ٧٣) فقد أخذ من مظاهر الطبيعة ومنحها حياة كحياته وتعاطف معها ونتج عن هذا التعاطف فيض من الشعور حيث انتشى مع الطيور والحيوانات من جانب واستمع إلى شدو الرياض وبكائها من جانب آخر.(البستاني ، ١٩٩٧م، ٢٣٩)

الخصائص الفنية لوصف الطبيعة في شعر ابن الرومي :

يُعد وصف ابن الرومي للطبيعة (من أجود الوصف وأكثره لأنه كان يرود البساتين حول بغداد ودجلة وينادم من ينادم ولا يغفل عما حوله من مناظر الماء والزهر والندى والطير المغرد على الأغصان). (علي محمد، ١٩٩٤م، ٢٣٩)، ويمكن ملاحظة بعض السمات الفنية لوصف الطبيعة في شعره التي منها :

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

١- تنوع وصف الطبيعة في شعره فوصف الطبيعة الجامدة والمتحركة .

٢- غلب استعمال أسلوب النفي بـ(لا) و(ما) في وصفه للحيوان كما جاء في الأبيات التي استشهدنا بها لوصف العقاب والظليم والأسد .

٣- كثرة التشبيهات وتواليها كما جاء في وصفه للحمائم في الأبيات التي استشهدنا بها.

٤- استعمل ابن الرومي في تصويره للطبيعة فني التجسيم والتشخيص ، فعنده الطيور تنوح وتعشق وتبوح وتشكو الغرام، وهذه الملامح الإنسانية تدل على انعكاس حالة نفسية تجعل من الشعر وجدانيا.

٥- في وصفه لبعض النباتات والحيوانات نراه يتقصد ذكر أسمائها مما يدل على ثقافته وسعة إطلاعه .

٦- استعمل البديع في شعره الوصفي فقد استعمل الجناس والطباق والمشاكلة.

الخاتمة:

بعد أن مررنا بشعر ابن الرومي لنقف على وصف الطبيعة منه ، لابد أن نعترف بأننا لم نذكر كل ما ورد من وصف للطبيعة في ديوانه ذلك لسعة الديوان أولا ولأن الموضوع لا يحده بحثا في البكلوريوس بل يحتاج إلى مزيد من الدراسات المستفيضة والمتنوعة لتقف على كل ما جاء من وصف للطبيعة في شعره . لكننا في الوقت ذاته نشكر الله الذي وفقنا لدراسة شيء من هذا الوصف وتقديم الشواهد الوافية التي عكست هذا الشعر وبينت خصائصه ومدى اهتمام الشاعر فيه .

ونستنتج من وصف ابن الرومي للطبيعة ، أنه أخذ بمظاهر الطبيعة يفتش عن آلامه التي أصيب بها خلال وجوده في هذا الدهر ، فأسرع إليها ووجد فيها صديقه الحميم.

فكان وصفه لمظاهر الطبيعة وصفا وجدانيا ، جمع فيه بين وصفه للحيوانات والطيور الأليفة والمتوحشة .

المصادر:

عاصم جنيدي، ابن الرومي ، علي بن العباس بن جريج (ت ٢٨٣هـ)،طائر غرد خارج سربه، ١٩٣٣م، ط١، دار الميسرة ، بيروت.

العقاد، عباس محمود ،١٩٣١م، ابن الرومي، حياته من شعره، ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي.

غريب ، جورج، ابن الرومي دراسة عامة، ، ١٩٣٨م، ط٢، بيروت ، دار الثقافة .

الحاوي، ايليا،ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره ، ١٩٨٠م، دار الكتاب اللبناني، بيروت– لبنان.

شلق ،علي ،ابن الرومي في الصورة والوجود ،١٩٦٠م، بيروت، دار النشر للجامعيين .

الحر،عبد المجيد، ابن الرومي، عصره، حياته، نفسيته،١٤١٢هـ، فنه من خلال شعره، ، دار الكتب العلمية.

محمد ،أحمد علي ،أثر النزعة العقلية في القصيدة العربية ،١٩٩٤م، ط١، دمشق، السيروان للطباعة والنشر والتوزيع.

البستاني، بطرس ، أدباء العرب في الأعصر العباسية، ١٩٩٧م، بيروت ، دار نظير عبود.

الرافعي ،مصطفى صادق ، تاريخ آداب العرب، ١٩٤٠م، مطبعة الاستقامة، ط٢ .

الفاخوري، حنا، تاريخ الأدب العربي ، ١٩٨٧م، المكتبة البولسية ، لبنان.

فروخ ،عمر ،تاريخ الأدب العربي ، ١٩٨١م، دار العلم للملايين، بيروت ، ط٤.

الهاشمي ،السيد أحمد ،جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، ١٩٦٩م، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، الطبعة السابعة والعشرون.

ابن الرومي ،علي بن العباس بن جريج ،ديوان ابن الرومي ، ٢٠٠٢م، تحقيق أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ،ط٣.

كبريت، سمير محمد روائع الشعر العربي ، ابن الرومي، ٢٠٠١م، ط١،دار المعرفة للطباعة والنشر ،ط١ .

سيد نوفل ،محمد محمود قاسم ،شعر الطبيعة في الأدب العربي، ١٩٤٥م، ط٢ ، القاهرة، دار المعارف.

ضيف ،شوقي ،العصر العباسي الثاني ، ١٩٧٣م، ط١٢، دار المعارف ، مصر .

أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣ هجرية)،العمدة في صناعة الشعر وآدابه ونقده ، ١٩٨١م، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل ، ط٥ .

النويري ،أحمد عبد الوهاب ،١٩٣٦م،غاية الأرب، مج١١، ط١، القاهرة ، دار المعارف.

الحاوي ،ايليا ،١٩٨٧م،فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، ط٢، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

بـن علـي ، محمد بـن مكـرم ، لسـان العـرب ١٤١٤هـ ، أبـو الفضـل ، جمـال الـدين ابـن منظـور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ،ت ٧١١ هجرية ، دار صادر، بيروت ، ط٣.

بن موسى ،أبي عبيد الله محمد بن عمران ، معجم الشعراء للمرزباني ،تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، سلسلة الذخائر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة. دون تاريخ.

ابن قدامة ،أبي الفرج قدامة بن جعفر ،نقد الشعر ، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان . دون تاريخ.

سـهيل، سـليمان وزمـلاءه ،الـوافي فـي الأدب العربـي، ١٩٩٥م، مـج١ ، ط٢، بيـروت دار الفكـر اللبناني.

قنـاوي ،عبـد العظـيم علـي ، الوصـف فـي الشـعر العربـي، ط١، مصـر، مطبعـة المصـطفى البـابي الحلبي ، دون تاريخ.

ابـن خلكـان ،أبـو العبـاس شـمس الـدين أحمـد بـن محمد بـن إبـراهيم بـن أبـي بكـر بـن خلكـان البرمكـي الإربلـي، ت٦٨١هجريـة وفيـات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء الزمـان، ،١٩٠٠م ، تحقيـق إحسـان عباس ، دار صادر بيروت، ط٣، ج٣.

References

Asim Junaidi, Ibn al-Rumi, Ali ibn al-Abbas ibn Jurayj (d. 283 AH), A Bird That Sang Outside Its Flock, 1933, 1st ed., Dar al-Maysara, Beirut.

Al-Aqqad, Abbas Mahmoud, 1931, Ibn al-Rumi: His Life Through His Poetry, 2nd ed., Beirut, Dar al-Kitab al-Arabi.

Gharib, George, Ibn al-Rumi: A General Study, 1938, 2nd ed., Beirut, Dar al-Thaqafa.

Al-Hawi, Ilya, Ibn al-Rumi: His Art and Psyche Through His Poetry, 1980, Dar al-Kitab al-Lubnani, Beirut, Lebanon.

Shalaq, Ali, Ibn al-Rumi in Image and Existence, 1960, Beirut, University Publishing House.

Al-Hurr, Abdul Majid, Ibn al-Rumi: His Era, His Life, His Psyche, 1412 AH, His Art Through His Poetry, Dar al-Kutub al-Ilmiya. Muhammad, Ahmad Ali, The Impact of Rationalism on Arabic Poetry, 1994, 1st ed., Damascus, Al-Sirwan Printing, Publishing and Distribution.

Al-Bustani, Butrus, Arab Writers in the Abbasid Era, 1997, Beirut, Dar Nazir Aboud.

Al-Rafi'i, Mustafa Sadiq, A History of Arabic Literature, 1940, Al-Istiqamah Press, 2nd ed.

Al-Fakhoury, Hanna, A History of Arabic Literature, 1987, Al-Boulisiyah Library, Lebanon.

Farroukh, Omar, A History of Arabic Literature, 1981, Dar Al-Ilm Lil-Malayin, Beirut, 4th ed.

Al-Hashimi, Sayyid Ahmad, Jewels of Literature in the Literature and Composition of the Arabic Language, 1969, Al-Maktaba Al-Tijariyyah Al-Kubra, Egypt, 27th ed.

Ibn Al-Rumi, Ali ibn Al-Abbas ibn Jurayj, Diwan Ibn Al-Rumi, 2002, edited by Ahmad Hassan Basaj, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, 3rd ed. Kibrit, Samir Muhammad, Masterpieces of Arabic Poetry, Ibn al-Rumi, 2001, 1st ed., Dar al-Ma'rifah for Printing and Publishing.

Sayyid Nawfal, Muhammad Mahmud Qasim, Nature Poetry in Arabic Literature, 1945, 2nd ed., Cairo, Dar al-Ma'arif.

Dayf, Shawqi, The Second Abbasid Era, 1973, 12th ed., Dar al-Ma'arif, Egypt.

Abu Ali al-Hasan ibn Rashiq al-Qayrawani al-Azdi (d. 463 AH), The Essential Guide to the Art, Etiquette, and Criticism of Poetry, 1981, edited by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Dar al-Jil, 5th ed.

Al-Nuwayri, Ahmad Abd al-Wahhab, 1936, The Ultimate Goal, vol. 11, 1st ed., Cairo, Dar al-Ma'arif.

Al-Hawi, Ilya, 1987, The Art of Description and its Development in Arabic Poetry, 2nd ed., Beirut, Dar al-Kitab al-Lubnani. Ibn Ali, Muhammad ibn Mukarram, Lisan al-Arab, 1414 AH, Abu al-Fadl, Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari al-Ruwayfi'i al-Ifriqi, d. 711 AH, Dar Sader, Beirut, 3rd ed.

Ibn Musa, Abu Ubayd Allah Muhammad ibn Imran, Mu'jam al-Shu'ara' lil-Marzubani, edited by Abd al-Sattar Ahmad Faraj, Al-Dhakhair Series, General Authority for Cultural Palaces, n.d.

Ibn Qudamah, Abu al-Faraj Qudamah ibn Ja'far, Naqd al-Shi'r, edited by Dr. Muhammad Abd al-Mun'im Khafaji, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, n.d.

Suhayl, Sulayman and colleagues, Al-Wafi fi al-Adab al-'Arabi, 1995 CE, vol. 1, 2nd ed., Beirut, Dar al-Fikr al-Lubnani.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

Qanawi, Abd al-Azim Ali, Al-Wasf fi al-Shi'r al-'Arabi, 1st ed., Egypt, Matba'at al-Mustafa al-Babi al-Halabi, n.d. Ibn Khallikan, Abu al-Abbas Shams al-Din Ahmad ibn Muhammad ibn Ibrahim ibn Abi Bakr ibn Khallikan al-Barmaki al-Irbili, died 681 AH. Wafayat al-A’yan wa Anba’ Abna’ al-Zaman, 1900 AD, edited by Ihsan Abbas, Dar Sader Beirut, 3rd edition, vol. 3.